﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ١٠١﴾ [هود: 101]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إهلاك القرى عدل لا ظلم فيه، والشّرك ظلمٌ لا عدلَ فيه

"لمّا كان فيما تقدَّم في هذه السّورة من القصص أشدّ تهديد وأعظم وعيد لمن له تبصرة، صرَّح لغليظي الأكباد بأنَّ الموجب للإيقاع بهم إنَّما هو الظُّلم، فقال تعالى عاطفًا على نحو أن يقال: فعلنا بهم وأنبأناك به: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ في شيء منه ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ﴾ واعتمدوا على أندادهم معرضين عنّا، آمنين من عذابنا، فأخذناهم بالعذاب"[1]، فالمناسبة بين الآية والسّابقة هو نفيُ أن يكون ما وقع للأمم الغابرة ظلمًا، بل هو محض العدل والإنصاف، وذلك أنَّ النّاس إنَّما يحكمون على ما يُشاهدون دون ما يسمعون، لضعفِ أفهامهم، وقلَّة تأمُّلِهم، وهشاشة تدبّرِهم، فقد يُسابق شيطانُ أحدهم لأن يوسوس بأنَّ ما وقع لأولئك ظلمٌ، فجاء النَّفي لدفعِ أيِّ توهّمٍ من قاصرِ العقل، ومعوَّج التَّفكير، ومشوّش الفهم، فباتت المناسبة دفع الأوهام عن آياتِ القرآن.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَغْنَتْ﴾: الغَيْنُ والنّونُ والحَرْفُ المُعْتَلُّ أصْلٌ صَحيحٌ، يَدُلُّ على الكِفايَةِ[2]، "والغنى يكون بالمالِ وغَيره من القوَّة والمعونة وكل ما يُنافي الحاجة، ثمَّ كثر حَتَّى اسْتعْمل بمَعْنى غَني"[3]، وقال الرّاغب:

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 9/370.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غني).
(3) العسكريّ، الفروق اللُّغوية، ص: 185.

"يقال: غَنَيْتُ بكذا غِنْيانًا وغِناءً، واسْتَغْنَيْتُ وتَغَنَّيْتُ، وتَغانَيْتُ، ويقال: أغْناني كذا، وأغْنَى عنه كذا: إذا كفاه"، ومعنى ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ في الآية: فما دفعت عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون اللّه، ويدعونها أربابًا من عقاب اللّه وعذابه إذا أحلَّه بهم ربُّهم من شيءٍ، ولا ردَّت عنهم شيئًا منه[1].

2) ﴿تَتْبِيبٍ﴾: تبب: التَّبُّ: الخَسارُ، والتَّبابُ: الخُسْرانُ والهَلاكُ، وتَبًّا لهُ، على الدُّعاءِ، نُصِبَ لأنَّه مَصْدَرٌ مَحْمولٌ على فِعْلِه وتَبَّا تَبيبًا، على المُبالَغَةِ والتَّتْبيبُ: النَّقْصُ، والخَسارُ[2]. ومعنى ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: غير تخسيرٍ وتدميرٍ وإهلاك[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سـبـبُ إهـلاك الظالمين ظلمُهم لأنْـفُـسِـهـم وعـنـادُهـم لأنْفَسِهم

بعد سرد مجموعةٍ من القصص الهادفة في هذه السّورة العظيمة، شرعت الآيات في بيانِ الموقف الحقِّ من تلك الأمم، فذكرتِ الآيات أنَّ اللّه ﷻ لم يعاقب أهل تلك القرى، التي قصَّ أنباءها على رسولِه ﷺ بغير استحقاق، بل جاءتِ العقوبةُ لأنَّهم ظلموا أنفسهم فأشركوا مع اللّه تعالى، ولم يتَّعظوا ولم يُقبلوا على طلب النَّجاةِ، بل أصرّوا وعاندوا، وحين نزول العقابِ لم تدفع عنهم آلهتهم التي يدعونها من دون اللّه شيئًا، عندما وقع المحذورُ، ونزل بساحتهم العذاب، بل زادوهم خسارةً وهلاكًا لا نجاةً ونصرةً.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواوِ ودلالتها:

عـطـفُ الجملِ تتميمٌ للمعنى وتـكـمـيـلٌ للمقصدِ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ واوُ العطفِ، وهي عاطفةٌ لهذه الجملةِ على الجملة السّابقة من باب عطف الجمل، مرتِّبة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/472.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (تبب).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 15/472.

حكم الله تعالى على هذه القرى، وجاءت بيانًا لمظاهر عدله ﷻ في قضائه وأحكامه، والتَّرتيب هنا تفسيرٌ وبيان لما ارتكبه هؤلاء في حقِّ أنفسهم، فكان سببًا رئيسًا في خسرانهم وبوار أعمالِهم.

بلاغةُ الاحتراس:

دفـعُ منـكـرات الأفهام في إرادةِ المـحـظـورِ من الأوهام

جاء قولُه تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ احتراسًا بنفي وقوع الظُّلم منه ﷻ على الأمم السّابقة، والمراد من الاحتراس المحافظة على المعنى من كلِّ ما يفسده ويغيِّره، فقد يقع في وهم السّامعين أن الله تعالى عاقب المتقدِّمين بلا ذنب ارتكبوه، فجاءت الجملة المنفيَّة هنا مبيِّنة أنَّه تعالى لا يظلم أحدًا، وأنَّ العقوبةَ تقع بسببِ ظلم النّاس أنفسَهم، والاحتراس تكميل للمعنى وأوفى في تأدية المراد منه.

نكتةُ بناءِ الفعلِ للفاعل:

الإيـمـاءُ إلى عـظـيـم الـظُّـلـم بـأن يـتـولَّى الله نفيَه عن نفسِه

جاء التَّعبير بضمير المتكلم مسندًا إلى فاعله في قولِه تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾، لنفي الظلم عنه سبحانه، دون أن يقول: (وما ظُلموا)، وذلك للمبالغةِ في النَّفي، ولبيان عظيم شأن المجترئ على الله تعالى بعد ذلك في إسنادِ الظُّلم له، فالله ﷻ هو الذي ينفي عن نفسِه العليَّة الظُّلمَ، ففيه تنويهٌ عظيم بشأنِ العدل، وأنَّ الظُّلم جريرةٌ لا يقبله الله من أحدٍ.

دلالة الاستدراك:

كـلُّ ظـالـمٍ سيتجرَّع ظلمَه ولو بعد حين

ورد الاستدراك في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بحرف العطف ﴿وَلَٰكِن﴾، لقصر المعذَّبين على كونهم موصوفين بالظُّلم، وهو قصر موصوف على صفة قصرًا إضافيًّا، ونوعه قصرُ قلب، لأنَّه قلبَ ما قد يقع في أوهام بعض الأفهام أنَّ الله تعالى قد ظلمهم، فقلب ذلك الاعتقادَ وأثبت المعنى الصَّحيح، فلمّا نُفي الظُّلم عنه ﷻ، رجع به إلى إثباته لهم لكونه واقعًا منهم على أنفسهم.

بديع الطِّباق:

بين نفي الظُّلم أوّلًا ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾، وإثباته ثانيًا ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ طباقُ سلبٍ.

معنى الفاءِ ودلالتها:

العواقب مربوطة بالمقدّمات

الفاء في قولِه تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ للتَّفريع، حيث" فرَّعَ على ظُلْمِهِم أنْفُسَهُم انْتِفاءَ إغْناءِ آلِهَتِهِم عَنْهُم شَيْئًا، ووجْهُ ذلك التَّرَتُّبُ والتَّفْريعُ أنَّ ظُلْمَهُم أنْفُسَهُم مَظْهَرُهُ في عِبادَتِهِمُ الأصْنامَ، وهُم لمّا عَبَدوها كانوا يَعْبُدونَها لِلْخَلاصِ منْ طَوارِقِ الحَدَثانِ، ولِتَكونَ لهُم شُفَعاءَ عِنْدَ اللّه، وكانوا في أمْنٍ منْ أنْ يَنالَهُم بَأْسٌ في الدُّنْيا اعْتِمادًا على دَفْعِ أصْنامِهِم عَنْهُم، فلَمّا جاءَ أمْرُهُم بضِدِّ ذلك كانَ ذلك الضِّدُّ مُضادًّا لِتَأْمِيلِهِم وتَقْديرِهِمْ"[1].

فائدةُ استعمال مفردةِ الإغناء:

كثرةُ المعاني دليلٌ كثرة المظانّ في إغناءِ الآلهة للأمم السّابقة

أوثر التَّعبير بالفعل ﴿أَغْنَتْ﴾ كنايةً عن الكفاية والمعونة والدَّفع، فهو أشمل الأفعال لجمعه أكثر من معنى، فما استطاعت الآلهة التي كانوا يعبدونها من دونِ اللّه تعالى أن تغنيَهم بالعطاء، أو بردِّ غوائل الزَّمان عنهم، أو أن تدفع عنهم عذاب اللّه تعالى وإهلاكه لهم، أو استئصال شأفتهم فلا سبيل لها إلى ذلك أبدًا، وهذا الثَّراءُ دليلُ بلاغةِ المفردةِ القرآنيّة وتميّز اختيارِها في الكشفِ عن كثرة أوهام الأمم السّابقة فيما يعتقدونه في آلهتهم المزعومةِ.

سرُّ تقديم الجارِّ والمجرور:

كلٌّ مبطلٍ يجني جريرة يديه

ورد تقديم الجارِّ والمجرور ﴿عَنْهُمْ﴾ على المسند إليه ﴿ءَالِهَتُهُمُ﴾، لقصره عليهم وتخصيصه بهم دون سواهم، إذ هم من كان يعتقد ذلك، فكلُّ أمَّةٍ تعتقد في آلهتها مجموعةً من الاعتقادات الباطلةِ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/158.

فكان مقصودُ التَّخصيص لا إثبات قدرةِ الإغناءِ لغيرِهم، بل للمبالغةِ في التَّهكُّم في حال من كان يعتقد الخيرَ في شيءٍ فوجدَ ضدَّه.

فائدة الوصفِ بالاسم الموصول:

انتظار النَّفع من غير بابه ضلال مبين

جاء وصفُ المسند إليه ﴿ءَالِهَتُهُمُ﴾ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ زيادة في تقرير الغرض المسوق له الكلام، وهو عدم غناء هذه الآلهة المزعومة المدعوَّة من دون الله تعالى، لكونها لا تملكُ من أمرها شيئًا، ولا تستطيع لنفسها ضرًّا ولا نفعًا، فكيف بمَن التجأ إليها واتَّخذها وسيلة يظن بها طرق النَّجاة ولاتَ حين مناص، وفيه أيضًا تنبيه على خطأ هؤلاء العابدين الذين ظنّوا النَّفع من غير بابه فضلّوا.

دلالة صيغة المضارعة:

الإقامة على الضلال لا تغني غناءً ولا ترد غائلة

ورد التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَدۡعُونَ﴾ الدّالّ على التَّجدُّد والاستمرار لعبادتهم هذه الأصنام لأجلِ حكاية الحالة الماضية وتصويرها التي كانوا عليها في الدُّنيا، اعتقادًا منهم أنَّها تعين على تحصيل المنافع ودفع المضارِّ، فإذا هي هباءٌ منثور لا يغني غناءً ولا يردّ غائلة.

بلاغةُ العموم:

العجزُ التّامّ سمةُ كلِّ مزعومٍ

دخل حرف ﴿مِن﴾ على النكرة ﴿شَيۡءٍ﴾، لبيانِ "عموم انتفاء النَّفع والإغناء، أي: لم تغنِ عنهم شيئًا، ولو قليلًا من الإغناء، ولم تنفعهم لا في قليل ولا كثير"[1]، ويدخل ذلك الحسّيّات والمعنويّات، وإغناء الجلبِ وإغناء الدَّفع، فكلُّ ما يصدق دخولُه تحت لفظ ﴿شَيۡءٍ﴾ فلا تُغني عنه.

معنى ﴿لَمَّا﴾ وفائدتها:

معنى ﴿لَمَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾ الظَّرفيَّة

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/271.

تمام الحسرة والنَّدامةِ عند تلاشي الآمال الزّائفة ووقوعِ الآلام الرّائجة

الحينيَّة، وهي متعلّقة بالفعل ﴿أَغْنَتْ﴾، أو هي رابطة هلاك هؤلاء بمجيء أمر ربك، والمراد: عذابه تعالى ونقمته بهؤلاء المكذِّبين، وهي "تخْتَصّ بالماضي، فتقتضي جملتين وُجدت ثانيتهما عِنْد وجود أولاهما، نَحْو: لما جاءَني أكرمته، ويُقال فيها: حرف وجود لوُجود"[1]، فأفاد استعمالُ ﴿لَّمَّا﴾ تصوير الحسرةِ عند مجيءِ العذابِ، لأنَّهم إنَّما ينتظرون ويتأمّلون نصرة الآلهة عند مجيءِ العذاب، فلما جاء أمر الله تعالى ولم تُغنِ شيئًا كان المشهدُ مشهدَ حسرةٍ وندامة، وهذا فائدة استعمالِها في هذا السّياق.

بلاغة الاستعارة:

عدل الله قادم يراه المعذَّبون ويتخيَّله السّامعون

أُسند المجيءُ للأمر في قوله تعالى: ﴿لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ والأمر لا يجيءُ، وإنَّما الذي يجيء هو الكائن الحيُّ، فشبَّه الأمر بكائنٍ حيٍّ وحذف المشبَّه به وذكر المشبَّه مع ذكرِ لازمٍ من لوازمه، على سبيل الاستعارةِ المكنيَّة الأصليّة، تشخيصًا للعذابِ القادم، وتهويلًا من مآله، وقد يكون من قبيل الاستعارة التَّصريحيّة التَّبعيّة، وذلك بأن يشبّه وقوع العذاب بالمجيءِ، وبلاغة هذا الإسناد كامنة في تصوير المعنوي المعقول بصورة المحسوس دلالة على مجيئه ووقوعه لا محالة إلى جانب ما أفاده التَّعبير بالاستعارة من المبالغة في وصف جرم ما ارتكبه هؤلاء الذين اتَّخذوا آلهة من دون الله تعالى، لدرجة أن العذاب هو من جاءهم تنكيلًا بهم وعقوبة لهم على كثرة جرمهم.

معنى الواو ودلالتها:

نتيجة حاسمة ومتوقَّعة ورادعةٌ لمن ظنَّ خلافَ الواقع والحقِّ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ عاطفة لهذه الجملة المنفيَّة على الجملة المنفيَّة السّابقة: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾، وهي من عطف الجمل على بعضها لتشريكها في حكم

(1) ابن هشام، مغني اللبيب: 1/219.

واحد، فلمّا نفى عنهم أوّلًا عدم نفع الآلهة لهم، عاد ليبيِّن لهم النَّتيجة الحاسمة في أنَّ هذه الآلهة ما زادت هؤلاء العابدين إلّا الخسران والبوار.

نكتةُ تنزيلِ غيرِ العقلاءِ منزلةَ العقلاء:

التَّهكُّمُ المليحُ مناسبٌ للتَّبابِ القبيح

جاء التَّعبير في قوله تعالى: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بواو الجمع الدّالّة على العقلاء، لكونهم نزَّلوا هذه الآلهة منزلة العقلاء وأعطوها حكمها، فعامل النَّظم الآلهةَ المزعومة معاملة العقلاءِ، زيادةً في التَّهكُّم بمن اعتقد قدرتها على النَّفعِ والدفع، فكان هذا من زيادةِ التَّهكُّم المليح المناسب لزيادةِ التبابِ القبيحِ.

فائدةُ استعمالِ ﴿غَيْرَ﴾:

عبادةُ غير الله خسارةٌ دائمةٌ لا ربحَ فيها

أفاد التَّعبيرُ بـ ﴿غَيْرَ﴾ الزيادةَ في التَّبكيت والخسران والبوار وعدم النَّفع، وكل هذا صار ملازمًا لهم لا ينفكّ عنهم أبدًا، وجُمْلَةُ ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ علاوةً وارْتِقاءً على عَدَم نَفْعِهم عِنْدَ الحاجَةِ بأنَّهُم لم يَكُنْ شَأْنُهُم عَدَمَ الإغْناءِ عَنْهُم فحَسْبُ، ولَكِنَّهُم زادَتْهُم تَتْبيبًا وخُسْرانًا، أيْ زادَتْهُم أسْبابَ الخُسْرانِ[1].

توجيه استعمالِ ﴿تَتْبِيبٍ﴾ في سياقِها:

الإصـــرار على طلب النفع من العـجـزة عجز وخيم

ظاهِرُ هذا أنَّ أصْنامَهُم زادَتْهُم تَتْبيبًا لمّا جاءَ أمْرُ اللّه، لِأنَّهُ عُطِفَ على الفِعْل المقيّد بـ " لمّا" التَّوْقيتيَّةِ المُفيدَةِ أنَّ ذلك كانَ في وقْتِ مَجيءِ أمْرِ اللّه، وهو حُلولُ العَذابِ بهِمْ، ووجْهُ زيادَتِهِم إيّاهُم تَتْبيبًا حينَئِذٍ أنَّ تَصْميمَهُم على الطَّمَعِ في إنْقاذِهِم إيّاهُم منَ المَصائِبِ حالَتْ دونَهُم ودونَ التَّوْبَةِ عِنْدَ سَماعِ الوعيدِ بالعَذابِ"[2].

توجيه المتشابه اللَّفظي:

التَّبابُ يغلبُ استعمالُه فيما يعلمه المخاطَب بخلاف الخسارة

ورد التَّعبير مع لفظ التَّتبيب بأداة الاستثناء "غير" الدّالة على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/158.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/158.

الاسميّة والثّبات والدّوام، أمّا الآيات الثّلاث التي ورد التّعبير فيها بلفظ "الخسار" فناسبها مجيء الاستثناء بـ (ما) و(إلّا)، وهذا الاستثناء يستعمل في الشّيء الذي يجهله المخاطب وينكره، وهاك بيانها حسب ورودها في القرآن الكريم:

أوّلًا: قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: 82].

لمّا قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ فإنَّ المخاطب هنا علم فائدة نزول القرآن بكونه شفاءً ورحمةً للمؤمنين، وكان يقع في خلده ألّا يكون تذييل الآية على ما ورد فإذا به يرى حكمًا لم يكن يتصوَّره المخاطب فقال: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ فهذا الختام جعل المخاطب في حكم الجاهل به بل ينكره لظنِّه ألّا يكون كذلك الحكم، والمراد بـ " الظّالمين" هنا الكافرون المكذِّبون الواضعون للأشياء في غير موضعها مع كونه في نفسه شفاءً لما في الصُّدور من أدواء الرَّيب وأسقام الأوهام، وقوله: ﴿إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ أي: هلاكًا بكفرهم وتكذيبهم وزيادتهم من حيث إنَّهم كلَّما جدَّدوا الكفر والتَّكذيب بالآيات النّازلة تدريجًا ازدادوا بذلك هلاكًا، وفيه "إيماءٌ إلى أن ما بالمؤمنين من الشُّبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض، وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك، وإسناد الزّيادة المذكورة إلى القرآن مع أنَّهم المزدادون في ذلك لسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك، وفيه تعجيب من أمره من حيث كونه مدارًا للشِّفاء والهلاك"[1]. ومن هنا ناسب مجيء الخسار مع أداة الاستثناء (إلّا) الحرفيَّة.

ثانيًا: قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ [فاطر: 39]

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ في الآخرة، وجملة ﴿وَلَا يَزِيدُ﴾ بيان وتفسير لقوله سبحانه: ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ﴾ ولزيادة تفصيله نُزِّل منزلة المغاير

(1) الآلوسي، روح المعاني: 15/46.

له، ولولا ذلك لفصِلَ عنه، والتَّكرير لزيادة التَّقرير والتَّنبيه على أن اقتضاء الكفر لكلِّ واحدٍ واحدٌ من الأمرين المقت والخسارة مستقِلٌّ باقتضاء قبحه، ووجوب التَّجنُّب عنه بمعنى أنَّه لو لم يكن الكفر مستوجبًا لشيء سوى مقت الله تعالى الكفر ذلك في قبحه وكذا لم يستوجب شيئًا سوى الخسار لكفى"[1].

وورود التَّعبير في الآية بأداة الاستثناء "إلّا" مقترنًا بالخسار الدّالَّة على الحرفيَّة هو الأنسب بسياق النَّظم خفَّة نطق وبراعة أداء.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ [نوح: 21].

ورد هنا التَّعبير أيضًا بأداة الاستثناء "إلّا" في أمر يجهله المخاطب وينكره ﴿قَالَ نُوحٌ﴾ حيث أعيدَ لفظُ الحكايةِ لطولِ العهدِ بحكايةِ مناجاتِهِ لربِّهِ، أي: قالَ مناجياً لهُ تعالَى: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ أيْ: تمّوا على عصياني فيما أمرتُهُم بهِ مع ما بالغتُ في إرشادِهِم بالعظةِ والتَّذكيرِ ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ أيْ: واستمرّوا على اتِّباعِ رؤسائِهِم الذينَ أبطرَتْهُم أموالُهُم، وغرّتْهُم أولادُهُم وصارَ ذلكَ سببًا لزيادةِ خسارِهِم في الآخرةِ فصاروا أسوةً لهم في الخسارِ وفي وصفِهِم بذلكَ إشعارٌ بأنَّهُم إنَّما اتَّبعوهم لوجاهتهم الحاصلةِ لهم بسببِ الأموالِ والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شُبهةٍ مُصحّحةٍ للاتباعِ في الجملة"[2].

وهنا ورد التَّعبير بأداة الاستثناء "إلّا" الحرفيَّة في أمر يجهله المخاطب وينكره مع أنَّ المعتقد أنَّ العطاء من المال والولد هو محطَّ الزّيادة، إلّا أنَّ الزّيادة هنا خسران وبوار يتناسب مع "إلّا" وما تضفيه على الأسلوب من دقَّة الأداء.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التباب والخسار:

التَبُّ والتَّبابُ: الاستمرار في الخسران، يقال: تَبًّا له وتَبٌّ له، وتَبَبْتُهُ: إذا قلت له ذلك،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/202 بتصرف.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/40.

التَّباب الخسارُ الكلّيُّ والخسار ما كان دونه

ولتضمّن الاستمرار قيل: اسْتَتَبَّ لفلان كذا، أي: استمرّ نحو: ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾، أي: تخسير"[1]. وهو" مَصْدَرٌ مَحْمولٌ على فِعْلِه من التَّبِّ: أي الخَسارِ. والتَّبابُ: الخُسْرانُ والهَلاكُ، والتَّتْبيبُ: النَّقْصُ والخَسارُ"[2].

الخَسار والخَسارة: الضَّلالُ والهَلاكُ، والخاسِرُ الذي ذَهَبَ مالُهُ وعَقْلُهُ أي: خَسِرَهُما، والخاسِرُ الذي وُضِعَ في تِجارَتِه، ومَصْدَرُهُ الخَسارَةُ والخُسْرُ، ويُقالُ: خَسِرَتْ تِجارَتُهُ، أي: خَسِرَ فيها[3].

قال الرّاغب: "الخُسْرُ والخُسْران: انتقاص رأس المال، وينسب ذلك إلى الإنسان، فيقال: خَسِرَ فلان، وإلى الفعل فيقال: خسرت تجارته، قال تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [النازعات: 12]، ويستعمل ذلك في المقتنيات الخارجة كالمال والجاه في الدُّنيا، وهو الأكثر، وفي المقتنيات النّفسيّة كالصّحّة والسّلامة، والعقل والإيمان، والثّواب، وهو الذي جعله الله تعالى الخسران المبين، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى تعاطي ما لا يكون به ميزانه في القيامة خاسرًا، وكلا المعنيين يتلازمان، وكلُّ خسران ذكره الله تعالى في القرآن فهو على هذا المعنى الأخير، دون الخسران المتعلِّق بالمقتنيات الدّنيويّة والتّجارات البشريَّة"[4].

(1) الراغب الأصفهاني، المفردات: (تبَّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (تبَّ).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (خسر).
(4) الرّاغب، المفردات: (خسر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»